

# العربيه في السدفير

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

الخميس 3 تشرين الثاني 2016 – الموافق 3 صفر 1438 هـ العدد 13505

## الفلسطينيون في الداخل: الهوية بين القومي والمدني

«الدولة اليهودية» لا يمكنها تعريفاً أن تكون دولة كل الإسرائيليين، ما يضع غير اليهود خارج نطاق مواطنتها الفعلية. وهو حال الفلسطينين من كل المذاهب، وعلى رأسهم الدروز والبدو الذين جرى التبعج بوجودهم في مناصب عسكرية وسياسية ومدنية في إسرائيل، وذلك مهما علا شأن مسؤولياتهم تلك في هذه الدولة. وأما التركيز على النضال من أجل «الحقوق المدنية»، فقد يستسر على تخلٍ عن الحقوق الأصلية، الوطنية التحررية.

\*\*\*

«هنا فلسطين»، هكذا حرفياً عنونت صحيفة «كول بو» الإسرائيلية التي تصدر في مدينة حيفا صورة من الحي العربي الحياوي «وادي النسناس» يوم الثاني من تشرين الأول/ أكتوبر عام 2000. أي عقب التحاق الفلسطينيين داخل أراضي 48 بانتفاضة أبناء شعبيهم في الضفة الغربية وقطاع غزة. وكانّ هذه الصورة التي نشرتها الصحيفة لم تترك للمحرر الإسرائيلي الجالس في مكتبه مكاناً للتفكير أو السؤال عن مكانة الفلسطينيين حملة الجواز الإسرائيلي، القانونية أو السياسية، لم تترك له خياراً، فرض المشهد عنواناً لا لبس فيه: شرطي إسرائيلي يخبئ خلف سيارة مشهوراً مسدسه وعصاه وجاهزاً بإطلاق النار. وأمام السيارة شبان يتراضضون واسفلت مغلى بالحجارة وإطارات مشتعلة، وعائلة تنظر إلى المشهد. في هذه الصورة واللحظة تحديداً، وعلى الرغم من عدم وجود العلم الفلسطيني، أو أي لافتة أو شعار، ظهرت فلسطين في مدينة حيفا أوضح من أي وقت آخر. ظهرت الهوية بوضوح أكثر من أي خطاب يليس فيه زعيم كوفية على منصة، أو يلقي فيه زعيم آخر بعض أشعار محمود درويش. بات جوهر الهوية الفلسطينية حاضراً في تحديده المشروع الاستعماري، حيث لا مكان للإستهلاك والرمزيات. باقتضاب: تُصَحّح الهوية واقفاً يُفرض على المستعمر عندما تستوفي شرط وجودها: تحديه.

بين المطلي المدني والقومي التحرري

يتأثر الفلسطينيون في الداخل، كأي تجمّع فلسطيني آخر، بأي تطور أو تحول في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي عامّة. وتختلف حدة التأثر والاستجابة للتغيرات العامة التي تطرأ على الصراع، ويعود سبب ذلك أساساً إلى موقع التجمّع ومكانته واشتباهك وارتباطه الرمزي والمادي بمؤسسات السلطة المركزية الحاكمة التي تشكل طرفاً في أحداث أي تغيير. واتفاقية أوصلو التي لا يفصلها من حيث الذكرى عن الانتفاضة الثانية سوى أيام عديدة، وإن كان لها تأثير جذري على التجمّعات الفلسطينية كافة... تأثير كان، كالتفافية، في اتجاه سلمي. بات هناك شعور عام، داخل أراضي 48 خصوصاً، بأن القضية الفلسطينية في طريفها إلى الحل، وأن دولة فلسطينية سبّئني على حدود العام 1967، ويتوجب الآن على الفلسطينيين في الداخل وبالوازاة، قبول واقع جديد انقصالي، وبات الحديث عن المآلات المختلفة للتجمّعات الفلسطينية أمراً واقفاً. وباتت مقولة أنهم «شأن داخلي

إسرائيلي»، واقفاً بحكم الاتفاقية الجديدة. يدعي البعض أن انفتاحاً متبادلاً طرأ على العلاقة ما بين الفلسطينيّين في الداخل والمؤسسة الإسرائيلية في أعقاب توقيع اتفاق أوسلو. انفتاح الإسرائيلي الذي أخذ عملياً بعد أوسلو شكّل زيادة في الميزانيات لسلطات الحكم المحلي في البلديات العربية داخل أراضي 48، بقي في إطار انفتاح تحت «شرط» الصهيونية، انفتاحاً شكلياً لم يمس جوهر الصراع الأساسي: الأرض والهوية.

مراجعة الأحداث ما قبل الإنتفاض داخل أراضي 48، هي اشتباك فكري وسياسي ليس فقط مع من يتبنّى الموقف القائل بأنّه كان هناك «انفتاح»، بل أيضاً مع من رأى انتفاضة الداخل «خدمة»! فقبل يوم واحد فقط من انتفاض الداخل، دهمت السملطات الإسرائيلية خيمة الاعتصام التي أقامها أهالي الخلت تصدياً لحخطّ إقامة أوتوستراد «عابر لإسرائيل»، واعتقلت كل القائمين عليها بعد نضال عنيد خاضه أهالي المنطقة ضدّ الطريق الذي أرادت إسرائيل إقامته من خلال سلب أراضيهم. في المقابل، كانت هناك بؤرة مواجهة مع السلطات الإسرائيلية في مدينة شفا عمرو الواقعة شمال فلسطين المحتلة، بعد إقدام السلطات على هدم بيوت حي «أم السحالي» كاملة بذريعة عدم وجود تراخيص بناء. أعاد الفلسطينيون بناءها بعمل شعبي تطوعي أدى إلى اشتباك مع الشرطة الإسرائيلية، وعرفت القضية باسم «قضية أم السحالي»، بالإضافة إلى قيام السلطات بمصادرة أراضي قرية عين ماهل الواقعة بالقرب من مدينة الناصرة لأجل بناء حي

جديد في مستوطنة «النصرة العليا». على سعيد الهوية، واجهت الحركة الطلابية الفلسطينية محاولات قمع عدّة من قبل المؤسسة الإسرائيلية، ما أدى بالموازاة إلى تشكيل حراك طلابي نابض تحدى القمع الإسرائيلي برفع الأعلام الفلسطينية داخل الانفتاح في اتجاه واحد فقط قبل الأول من تشرين الأول/ أكتوبر 2000. واتجاه واحد لا تعني بالضرورة انفتاح أحد الطرفين على الآخر: في هذا السياق هو انفتاح باتجاه المدني، وصراع على القومي.

مراجعة انتفاضة الفلسطينيين في الداخل ليست مجرد تمرين ذهني لتحليل الأسباب. فالماضي يفقد معناه إن لم يكن دليلاً لبناء مستقبل أفضل. وفي الوضع الفلسطيني، فإن إعادة ارتكاب أخطاء الماضي له ثمن على قضية أرض وإنسان ووعي تتشكل بالنسبة للفلسطيني شرطاً وجودياً. لم تتغير إسرائيل، فجوهرها كدولة قومية يهودية استعمارية بقي حاضراً في محاصرتها للفلسطينيين في الداخل، كما هو في الضفّة الغربية وقطاع غزة، فالداخل الفلسطيني ما زال طيلة الأعوام الستة عشر الماضية مستهدفاً على الصعيد القومي.

ويبرز الاستهداف في المناطق كافة، بدءاً من مخطط «برافر» والاقتلاع للاستيلاء على أراضي النقب، وصولاً إلى قرية «رمية» التي تريد المؤسسة الإسرائيلية مصادرة أراضيها لأجل توسيع المدينة اليهودية كرميكل في الجليل الأعلى، مروراً بهدم المنازل في الخلت وحصار



ضياء العزاوي - العراق

معاناة الصحافة المكتوبية في العالم العربي: مثالن من الجزائر حيث الأجور مخجلة، وموريتانيا حيث يُستولى على الدعم المُقرّر من الدولة قبل أن يصل. المرض النفسي ما زال يعامل كـ«عار»؛ مثال مصر.

جنوب السودان بعد 5 سنوات من الإستقلال: دولة فاشلة أم نتج غربي فاشل؟ والتياهي بالألقاب: في اليمن بين صالح وهادي: الإستقواء بسلالات مفتعلة، تاجيحباً لانتقسام والاحتراب، واستعادة لقيم الحكم السالف.

بورتريه امرأة حلبية بسيطة ومكافحة: الصبر والتفأول وسط الخراب. ملف واحة جمنة الأدارة ذاتياً في «بألف كلمة»، و«مدونات»، و«فكرة»: العبودية في موريتانيا. وعلى الموقع: مغرب الورتة، وتاريخ إنساني بديل..

الفلسطينيين في كاتنونات داخل المدن المختلطة تحت ذريعة «التخطين»، وسط تشرذم واضح في الرؤية الفلسطينية العامة وانحيار للمشروع الوطني.

عودة الخطاب المدني على حساب القومي

أخذ يبرز منذ انتخابات الكنيست الأخيرة التي خاضتها الأحزاب العربية في الداخل بقائمة مشتركة واحدة، برنامج سياسي جديد. ظهر أول ملمح له من خلال خطاب إعلامي قاده رئيس القائمة المشتركة خلال فترة المناقسة الإنتخابية، وهو موجه إلى الشارع الإسرائيلي على حساب الهوية الفلسطينية، إذ توجّه فيه أكثر من مرة إلى الفئات المهشّمة طبقاً داخل المنظومة الاستعمارية كاليهود من أصول شرقية مثلاً، الذين يشكلون هم ذاتهم مخزون الأصوات الأساسي الأكبر لليمن الإسرائيلي. واستمر بعد انتهاء الإنتخابات، ليؤشّر على برنامج سياسي وليس مجرد دعاية انتخابية، دون مراعاة لخصوصية الفلسطينيين داخل أراضي 48 والرواية التاريخية التي تتناقض مع هذه المنظومة وجودياً وليس شكلياً أو ظاهرياً. وبذريعة بث روح الوحدة وعدم تصدير الخلافات إلى الخارج، أخذ يخفي تدريجياً الخلاف داخل «المشركة»، حتى سيطر البرنامج الجديد عليه، ولو إعلامياً وفي العلن. وبالوازاة، راحت تبرز مجموعات من الأكاديميين الفلسطينيين التي تطمح لوضع إطار نظري وسياسي استراتيجي وتؤسس لهذا النهج، من خلال تقرير أصدرته المجموعة تحت عنوان «التقرير الاستراتيجي للعرب الفلسطينيين في إسرائيل». ويخلص التقرير إلى أنه يتوجب على الفلسطينيين في الداخل أن يشكّلوا ذاتا مستقلة، ويلعبوا دور «الوسط» في حل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. بالإضافة إلى فك الارتباط عن «مشاريع شمولية ترفض اليهود وإسرائيل من حيث المبدأ»، ويُعرّف إسرائيل على أنها «دولة تمارس زرعاع كولونيالية».

المصالح مبرر موقف سياسي

التجربة تحذر من عودة الخطاب السياسي إلى مربع «اللاجدوى»، وإلى إعادة إنتاج وتجريب الحزب، حيث المدني فوق القومي. والقومي كما يظهره التقرير ليس إلاّ عائقاً أمام تحقيق الحقوق المدنية. لكن في إطار العودة إليه الآن، وفي المرحلة الفلسطينية الآتية، حيث لا مشروع وطنياً ولا وحدة، يصبح الانقسام والانفصال كرد فعل على التردّي وليس لطرف سياسي كاتفاقية أوسلو مثلاً وما ترتّب عليها من فصل بين الفلسطينيين بقرار سياسي، مجرد عبث سياسي بالوعي والهوية.

غالباً، يحتاج التوجّه إلى المطالب المدنية، في حالة الفلسطينيين داخل أراضي 48، وخصوصية مكانتهم القانونية والسياسية، مراعاة إسقاطات هذا التوجّه على الهوية القومية، خاصة أنّهم يتوجهون إلى المؤسسة ذاتها التي تستهدف وجودهم ليطالبوها بحقوق مدنية عادة ما تحاول المؤسسة الحاكمة ربطها بتنازلات على الصعيد القومي، ما يجعل الحق المدني أحياناً ليس الأداة تأديبية تستعملها المؤسسة الاستعمارية لفرض مواقف سياسية جهورية أو القياضة عليها.

السعي إلى تحقيق المصلحة الخاصة على حساب المصلحة الجميعة الموحّدة، والنظر إلى الخصوصية كمبرر انفصال وليس كتحدّ، لا ينحصر فقط في المرحلة السياسية الآتية، فلهدأ البرنامج السياسي إسقاطات على الوعي الجمعي يكون الشفاه منها بحاجة إلى إعادة صياغة المفاهيم الأساسية كافة، وعودة إلى المربع الأول للصراع

الانتماء الإنساني الخالي من شوائب الحقد الطائفي، لكن رياح مصالح المشؤومين جرت دائماً نحو لجج التآجيج، حاملة معها جموع المستجيبين لزّعة الشر. مرت الأيام والأسابيع والشهور، وقضية الموصول تتسع رقعتها على الطاولات الإقليمية والدولية، وصار الجميع يبحث عن موطنٍ قدم فيها، والأحذب يتابع بوعيه السياسي المتواضع شكل الخطوة التالية، لكن المطالبات تشتبك عنده وترتضي في النهاية أمام أبواب مغلقة. بدأ الأتراك يجلبون قوات عسكرية إلى منطقة قريبة من الموصول، بينما الكرد يقولون إنهم لن ينسحبوا من المناطق التي حرروها داخل حدود محافظة نينوى، وإيران تريد مشاركة الحشد الشعبي وأميركا ترفض ذلك، والسعودية خائفة من الانتهاكات، والبيغدادي وسط كل هذه المعمة يقاتل في جهات عدة.

هذه الأيام تدور المعارك على مشارف الموصول بهدف تحريرها، انطلقت تلك المعارك، والمشكلات الأساسية ما زالت قائمة. انطلقت المعارك والخراب ما زال يخيم على المدن التي اغتسلت من وحوش الخليفة، الذين ما زالوا بدورهم يخدشون وجوه بعض المناطق الواقعة بين بغداد ونيينوى، ما زالوا يسيطرون على الحيوجة في كركوك، وراوة وعانة والقائم في الأنبار، بل أنهم تسلاوا - ومعارك

وتعريف الأطراف. فالاستعمار، في الحالة الصهيونية، ليس شكلياً ولا ظاهرياً ولا نزعة خارجية عن الطبيعي. ولو اعتبرنا اليهودية قومية كما تقول الصهيونية فهي تشكلت على أساس استعماري عنصري، بينما «القومية» الفلسطينية (ليس بأي معنى إثنّي) تشكلت على أساس جزري إنساني. والحالة بيتناهي فهي حالة تنافر وصراع دائم. الأولى تحاول إلغاء الثانية ومحوها نهائياً أو تفريغها من مضمونها وجوهرها. وبالتالي، تحولها إلى مجرد فولكلور يتم تداوله استهلاكياً، شكلياً ورمزياً. تتحول الهوية إلى فولكلور تستطيع الصهيونية التعيش معه حين ينزع عنها جوهرها ومضمونها: تحدى شرعية وجود إسرائيل ذاتها كنتاج نشاط استعماري.

عودة إلى المربع الأول للصراع

تُشير مسيرة الفلسطينيين داخل أراضي 48 في التعامل مع المؤسسة الإسرائيلية، خاصة وأنّ لهم مكانة قانونية داخلها، وهم مشاركون في ديموقراطيتها. أي لحظات تحولها إلى القبيلة العسكرية، مربع تأسيسها الأول وجوهرها، وهذه اللحظات تجلّت في نظمتين أساسيتين قامت إسرائيل خلالها بالتعامل مع «مواطنيها» كأعداء: الأولى هي «يوم الأرض»، حيث صدر الداخل الفعل الانتفاضي الصهيونية: الاستيطان. أي الاستيلاء على الأرض والإحلال الرمزي، أي هدم ثقافة وهوية وإنشاء أخرى مشوهة.

إذ، الصمود في حالة الفلسطينيين داخل أراضي 48، ليس صموداً بالفهم المادي فقط. الصمود في هذه البقعة من الأراضي الفلسطينية يمتدّ حتى الهوية وخصوصيتها في أدق التفاصيل، خاصة أنّ التركيبة الاجتماعية الإسرائيلية متعددة على كل الصعد الإثنية والطبقية والثقافية، التي تُطالب جميعها بالسواة. فالبقاء (الفلسطيني) دون تحدّ ممكن أن يكون إسرائيلياً، أو على هامش «إسرائيل». تمايز الفلسطينيين في الداخل ينبع أساساً من تناقضهم الجوهري مع الرواية الإسرائيلية و«القومية» اليهودية. في العودة إلى المربع الأول للصراع، حيث تعريف الكيان الاستعماري على أنّه «دولة اليهود» وليست دولة الإسرائيليين، ما يستوجب القول المباشر والحاد: الإسرلة الكاملة أيضاً لن تحقّق للفلسطينيين أي إنجاز، فالدولة عملياً لليهود، أي أنّها دولة يهودي غير المواطن أكثر من كونها دولة المواطن. وهو ما يعني النقي إلى هامش الدولة اليهودية، ما يعني بالضرورة الاندثار الثقافي والحضاري نتيجةً.

اختلف الكثيرون على تسمية انتفاضة الداخل الفلسطيني في الأول من تشرين الأول/ أكتوبر 2000. فيعضهم أطلق عليها اسم «هبة أكتوبر»، وآخرون «هبة القدس والأقصى»، وفتة أخرى أرادتها أن تكون فقط «الانتفاضة الثانية». لكنّها في الحقيقة مرحلة 10 أيام سقط فيهم 13 شهيداً قُتلوا حين تحولوا لأعداء في اللحظة التي خرجوا وترتضي في النهاية أمام أبواب مغلقة. قاوموا عن رفض مشاريع المحو التي يمارسها النظام الاستعماري. قُتلوا حين انتفضوا على جوهر المشروع لا على تعبيراته الشكلية المختلفة. فمحمود درويش على مسرح إسرائيلي يختلف عن محمود درويش حين يسطر عروبته بالفعل السياسي وامتداده القومي.

رازى نابلسي

باحث من حيفا

\_\_\_\_\_

## أحذب الموصل الحدياء

حديته صنعتها ويلات بلده ومدينته التي حملها على ظهره سنين حتى تقوس، وصارت الأحلام تنزلق من الرأس فوقه وتسقط على الأرض مهشمة. واجه قبج الحذب بجمال تشابهه مع المنارة التي تحملها مدينته كهوية تعريف، تلك المنارة الشاهقة المقلّعة يقمص الموصول منذ أكثر من ثمانية قرون، والتي صارت الرمز الأول للمدينة. كان الأحذب الشاب يفتح شباك غرفته كل يوم ليتأجج المنارة الشاخصة على بعد بضع مئات من الأمتار عن منزله، فيكلمها عن حبيبته وأمنياته ومخاوفه الكثيرة من أشياء كثيرة، ويكتفي بصمتها المنلحف بعيبة التاريخ والدلالات. أخبرها ذات يوم كم أنه يتوق للقاء زميرالدا فاتنة في أحد شوارع «الدواسة» أو «باب الطوب» (حيان من أحياء الموصول)، وليس في مخيلة هوغو فقط، لكن صوت بنادق قريب أجاب نياية عن منارته الصديقة.

منذ بضع سنين، وهو يشاهد الموصول تتحول إلى مسرح للكره والدماء، تتصارع فيه العقائد والأيديولوجيات والطموحات الريضية للمهوسوسين بالفؤوذ والمال، لتسلخ الأمان عن برّه وتعبئ النفوس في قواوير اليأس والخوف. لم يدخر جهداً في إدارة ظهره للناتئ لأخبار القتل والخطف والتفجيرات التي تصصف بمدينةته، ولكن دون

جدوى. فالبارود يخرج من الأفواه في الأسواق والحفلات، ومن صفحات وكالات الأنباء وشاشات الفضائيات. ظل يحدث في هذا البحر الدموي بالكتب والموسيقى ومقائن حسناوات السينما وكؤوس الليل المهدمة، بينما العالم خارج غرفته مصرّ على إعلاء صرح الجحاصم النقوبية.. إلى أن ظهر خليفة موديل 2014 لقطع الرؤوس في الشوارع العامة على مرأى الكبار والصغار، ويجلد شاربي الخمر وممارسي الجنس ومستشفي دحان التبوغ، ويرمي المثلين من مبان شاهقة، ويغلف النساء بسواد جنونه.

بلغ السيل أمتاراً فوق الزينى، لم يعد من الحكمة المكوث في هذه الأرض ومعايشة دراما الجبل السدادي. تلمس طريقاً للهروب نحو أي بقعة لم تُصب بوباء الحدود الشرعية وهيجان العالقين في قعر الماضي، فوجد نفسه في أراضي الكرد المجاورة. في خيمة الزوج، بقي الأحذب يحاول فهم ما جرى ويجري، يتذكر أن الكثيرين من أبناء الموصول مندثرون من تعامل الحكومة وقواتها معهم، ومنهم من هو مندثر أساساً من فكرة «حكم الشيعية». وكان بعض الضباط والجنود الشيعية يدركون طبيعة المشاعر الكامنة تجاههم، لذا كانوا يتجنون الفرض لإيذاء الأهالي وإذلالهم. إنها معادلة معقدة وعصية

### إسرائيل مرجعنا!

ويطلب العودة إلى الوضعية السابقة وفق ما هو متوافق عليه بشأنها، ويسمي إسرائيل هنا سلطة احتلال.. هذا كل ما قاله، وهذا بعدما أكد أهمية المكان للأديان السماوية الثلاثة بديهيات. فتجادل إسرائيل بأن القرار أنكر قداسة المكان عند اليهود، ونفى أي صلة لهم به (كعني) انتماء سور الصين إلى الصين، يقول ننتباهوا!)، وهم، وسائر الساسة وكل الصحف هما كان اتجاهها، وكل التنظيمات بما فيها تلك التي تصنّف نفسها «يسارية»، يركبون أعلى خيولهم، وتهديدا ووعيدا. وتعلّق إسرائيل تعاونها مع المنظمة الدولية، مثلما انسحبت الولايات المتحدة قبلها منها حين قبلت بعضوية فلسطين فيها! وتمشي الصحف العالبية وراء الشائعة بلا وجل، ويستنكر بعضها «القرار الغريب»، ولا يتناول أحد بالمناسبة جوهر القرار : احتلال القدس والحاقها (وهي تدابير لم يعترف بها رسمياً أحد في العالم)، وحرمان الفلسطينيين من حقهم بممارسة العبادة في الأقصى (فهم

نهلة الشهاب

\_\_\_\_\_

## متابعات

## «عار» المرض النفسي عوار للمجتمع

تتحول كل مشكلة عارضة بالترامك لمرض نفسي يتطلب المشورة الطبية..

## المستشفيات النفسية في «أرقام»

بحسب الوارد في «الدليل المجمع للمستشفيات التابعة للأمانة العامة للصحة النفسية وعلاج الإدمان، 2015»، يوجد في مصر حوالي 18 مستشفى للأمراض النفسية العقلية والعصبية، بسعة تتجاوز 6 آلاف سرير، وتوزع المستشفيات على معظم المحافظات، حيث ثلاثة بالقاهرة مثل بورسعيد والشرقية وبنى سويف، ذلك بخلاف بعض المراكز العلاجية والعيادات الخاصة، يبدو عند الأطباء المختصين بالأمراض النفسية مضاعفاً لبعض التخصصات الطبية الأخرى، إذ يوجد حوالي 210 استشاريين، 264 أخصائياً ومساعد أخصائي، وحوالي 287 طبيباً قفياً، بحسب إحصاءات الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء في النشرة السنوية لإحصاءات الخدمات الصحية لعام 2014»، وكما أشارت دويدار، قد يعاني المرض النفسي مثل كل المرضي بمصر من عدم توافر أماكن للاحتجاز بالمستشفيات، نظراً للنقص الموجود بعدد الأسرة وعدم كفايتها.

## سبل الاستطباب النفسي

تتماهي الحدود الفاصلة في الوعي الشعبي العام بين عيادات الأطباء النفسيين ومراكز الاستشارات النفسية والسلوكية ومراكز التنمية البشرية، فتدب يذهب السائل/ الشاكي لكل منها؟ يجب د. قدرى: «يفضّل أن تُقصد مراكز الاستشارات النفسية لطلب مشورة في المسائل الحياتية الفنية، مثل مشكلات الزواج والطلاق وصدمات الفقد والوفاة وما شابه ذلك، بينما يُقصد الطبيب النفسي وبشكل حصري، إن كان السائل يشكو مشاعر سلبية ومزمنة وغير موضوعية وغير مرتبطة بحدث آني، مثل حالات الاكتئاب والقلق والضمام وغيرها، فيما لا يقبلُ بناتاً إدخال التنمية البشرية كحلقة متقاطعة مع الطب النفسي وعلم النفس إجمالاً، إذ يتركز عمل التنمية البشرية على تحفيز إرادة زوادها والمهام برسائل حماسية رنانة، وهذا دور إيجابي ولكنه لا يمثل علاجاً لمرض». أكدت دويدار على ما ذهب إليه قدرى مضيفة: «يجب أن تعمل كل تلك المصادر بشكل متكامل، على ألا يتصدى لعلاج المرضي النفسيين سوى المختص بعلم النفس Psychologist أو الطبيب النفسي Psychiatrist. وفي ذلك لا يكتب الدواء سوى الطبيب، بينما قد تُوظف التنمية البشرية في إرساء المبادئ العامة التي تساعد على إكساب وتنمية المهارات الحياتية التي قد تمنح الإصابة من بعض الاضطرابات النفسية».

## توعية و «لكن»

مؤخراً ظهرت بعض المعالجات الدرامية التي تتناول مسائل نفسية معقدة، كما انتشر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي كمينر لبعض المختصين النفسيين وغيرهم، فمثلت فرصة للتنمية النفسية من ناحية وللتسويق لبعض «الهواة»، لأنفسهم من ناحية أخرى. تكاثرت الصفحات الفيسبوكية (مثل «نصائح نفسية»، «كيسولات نفسية»، «أسرار نفسية»، «حياتنا النفسية»، «عيش حياتك بنفس».. وغيرها الكثير)، صار يقتحماً بصفة متواترة مشاركات تتضمن توعية بالسلوكيات «الصححة» في أوقات الشدة والرخاء، كما امتلأ فيسبوك بنصائح لاختيار شريك الحياة، ربما أقر بها حملة استخدمت هاشتاج #متتجوزيش، وتضمنت «ستة» بالشروط التي يجب ألا تتخلى

منذ بضع سنوات، إثر فقد عزيزٍ عليّ، سقطتُ في نوبة اكتئاب حادة بعفرتُ كيانِي وشتتتُ وجودي، فشرّد ذهني وقتها لبيتساءل عمّا لم أفكر به من قبل. ومن عتمة السواد بعيني وتغلغله في نفسي، لم أبصر أي جواب. كانت أكثر محاولات انتشالي - من هول حزني ومعاناتي - «عنفية» ترنو بغلظة لانتزاع إرادة المقاومة بداخلي، عنوةً واغتصاباً. شعرت حينها بكم العنف والرفض الذي يستيطئه المجتمع تجاه أي اضطراب نفسي حتى وإن كان موضوعياً وله ما «يبرزه» (ما لا يعني إدانة سواه!). رأيت كيف نعيد تأويل وتوظيف الحكم والأمثال والنصوص الدينية في كل موقف لنستخد منها السند النفسي والطبية الروحية. هكذا ببساطة تغالب التناقض تردّد: «النار لا تصيب المؤمن»، وإن حدث «فالمؤمن مصاب!» وتعرفت منظمة الصحة العالمية WHO الصحة النفسية «بأنها ليست مجرد انعدام الاضطرابات النفسية، وإنما هي حالة من العافية يستطيع فيها كل فرد إدراك إمكانياته الخاصة والتكيف مع حالات التوتر العادية والعمل بشكل منتج ومفيد والإسهام في مجتمعه المحلي». ربما تبعث النظرة الأولى لهذا التعريف على الشعور بأننا جميعاً مرضى. يفصل الأمر د. أحمد قدرى، متخصص «علم نفس الإبداع» (جامعة كيوتو - اليابان)، بأن «تمام الصحة النفسية غاية صعبة المثال، ما لا يعني بالقطع أنّ كلنا مرضى، فلا يُعدّ مريضاً نفسياً إلا ذلك الذي يفقد - أو تضعف لديه - القدرة على التكيف مع ضغوط الحياة بما يصعبها لدرجة غير محتملة».

## «عار» المريض النفسي!

لحدّ بعيد، تخاف المرض ربما لأنه يزيد ضعفنا أضعافاً، وإذا يفرض المرض «العضوي» نفسه علينا فيجبنا على الاعتراف به ويحث سبل علاجه، نواجه المرض «النفسى» بكل طاقة الخوف المكتونة بداخلنا والتي تترجم لقوة رافضة ومناهضة له، بل ومتصلة من وجوده. ومع ذلك، لا يتوانى المرض النفسي ولا يتوارى عن فرض تأثيره حتى يصل به الأمر أحياناً لإرهاق الأزواج. بحسب منظمة الصحة العالمية «ينتشر حوالي 900 ألف شخص على مستوى العالم سنوياً، أكثر من نصف الحالات تقع في الغالب العمرية بين 15 و44 سنة، وتُسجّل الاضطرابات النفسية كأحد أبرز أسباب الانتحار وأكثرها قابلية للعلاج»، فيما يحرمنا الجهل، بإمكانية الشفاء من بعض الأمراض النفسية، من طلب العلاج. يُعصد المرض وضعمة العار التي ترافق المرض النفسي، فما زال المريض النفسي - في منظور قطاعات اجتماعية واسعة - هو ذلك «الجنون» ضعيف القدرات الذي تعتّزله الناس وتخفه. تملُق د. إيناس دويدار، وهي طبيبة مقيمة نفسية وعصبية (مستشفى العمورة النفسية والمعهد العالي للصحة العامة في جامعة الإسكندرية): «إن الجهل يمثل حجر عثرة عتيدا في طريق الصحة النفسية، إذ كثيراً ما تصفّ السلوكيات السالبة للمريض النفسي على أنها «قلة ادب»، لذلك تُواجه من قبل أسرته وقريبه بالعسوي الدؤوب للردع العنيف والامتنكار التعالي. كذلك كثيراً ما يستهكم المريض على إنها محض «مس شيطانية». يضيف د. أحمد قدرى: «إن الوعي النفسي يمثل خطوة فارقة في مجابهة الأمراض النفسية، بل إن حتى بعض الأمراض العصبية قد يزيد الوعي الصحي بها من مرتفع تجنّبها (...). إن البيئة التي تعيش فيها والمختلفة مع آخرها بالضغوط الاقتصادية والاجتماعية والشخصية، تمثل مرتعاً خصياً لنمو العلل النفسية، ولا بد من تعديل عن الوعي النفسي ليجد كل فرد في محيطه من يعينه على التجاوز، فلا

شخصاً لقوا حتفهم في مصر وأصيب 72 آخرون، نتيجة الأمطار الغزيرة والسيول التي شهدتها محافظات مصرية عدة، من جنوب سيناء إلى سوهاج وبنى سويف، بين 27 و29 تشرين الأول/ أكتوبر 2016. وكانت مدينة رأس غارب في محافظة البحر الأحمر أكثر مدن البلاد تضراً من حيث الضحايا والبنى التحتية.

26

## فكرة

## عبودية

عام 2000 ولد في موريتانيا سعيد ولد سليم. ولأنّ أمّه كانت مستعبدة من قبل أحمد ولد الحاسين، دخل الولود الجديد هذا العالم مستعبداً في منزل «السيد» ولعل أمه هي الأخرى ورثت العبودية عن أبياتها. وبعد ثلاثة أعوام ولد أخوه يارغ.

عام 2011 هرب سعيد وأخوه الأصغر من منزل مستعبدهما وتمكنا بمساعدة إحدى جمعيات مكافحة الاستعباد من رفع دعوى عليه لدى محكمة الجنائيات في نواكشوط حكمت المحكمة على أحمد ولد الحاسين بالسجن سنتين وعزّمته 4700 دولار بتهمته استعباد الطفلين وحرمانهما من التعليم. كانت هذه المرة الأولى التي يجرم فيها موريتاني بتهمته الاستعباد استناداً إلى قانون أقر عام 2007. اعتبر محامي سعيد ويارغ اللذين قضيا سنين طفولتهما الأولى في تنظيف منزل «السيد» ونقل أغراضه وتلقي ضرباته، أن الحكم غير منصف وقرر الاستئناف. لكنّ ما حصل هو أن المحكمة أطلقت سراح «السيد» بكفالة قيمتها 680 دولاراً بعد عدة أشهر.

لم يتوقّف الطفلان ومن يدعمهما عند موريتانيا بل اتجهوا إلى «لجنة خبراء حقوق الطفل وراعيته الأفريقية» التي قبلت قبل أيام (27 تشرين الأول/ أكتوبر) الدعوى التي قدمتها «مجموعة حقوق الأقبليات الدولية» SOS Esclaves بالنيابة عن سعيد ويارغ. وهذا سيسهل ضغطاً على حكومة بلدنا الموقعة على «البثاق الأفريقي لحقوق الطفل وراعيته»، الذي يلزم بمعاينة الاعتداءات الجسدية والنفسية على الأطفال، وهي جزء مما كان يتعرّض له الطفلان. وما هو أفسى من ذلك أن خياراتها المستقبلية كانت لتكون محدّدة سلفاً من دون أن يكون لإرثها أي اعتبار. اليوم يحلم سعيد بأن يصير مدافعاً عن حقوق الإنسان فيما يارغ يحلم بأن يصير محامياً.

تحدثت وسائل الإعلام الغربية ومنظمات المجتمع المدني المتابعة لقضية الطفلين عن مسألة العبودية في موريتانيا بطريقة مبالغ فيها، فهي تشير إلى أنّ موريتانيا عندما ألغت العبودية عام 1981 كانت آخر دولة في العالم تفعل ذلك، وإلى أنّ أول قانون يجرّمها لم يأت حتى عام 2007، بينما الحقيقة أنّ هناك قوانين تعود إلى ستينيات القرن الماضي في هذا الصدد كذلك ترد أرقام مضخّمة عن عدد المستعبدين في موريتانيا (حوالي 800 ألف من أصل عدد سكان يقارب الـ4 ملايين) وهي غير دقيقة والأرجح أنّها تشمل عبيداً سابقين لهم مشاكلهم الأخرى الآن بينما أعداد العبيد لا يتجاوز بضعة آلاف (وهذا بحّد ذاته كبيراً). كما يتمّ الحديث عن أنّ البيضان (ذوي البشرة البيضاء) يستعبدون الحراطين (ذوي الأصول السنغالية والبشرة السوداء)، والواقع أنّ التركيبة السكانية في موريتانيا أكثر تعقيداً من ذلك، وهناك بيضٌ يستعبدون بيضاً وسودٌ يستعبدون سوداً، وبعض المستعبدين السود يطلبون اللجوء في دول أجنبية.

أحمد فؤاد نجم يقول في إحدى قصائده «قابلت الناس من الراس للديل وأمّنت بان الكلّ عبيد».. ربما بأشكال مختلفة. وعلى أية حال، فلو كان العبيد في موريتانيا، وسواها، مجرد بضعة آلاف فهذا كثيرٌ ومأساوي ولا بد من انتهاهه حتى يمكن التعامل مع أشكال العبودية الأخرى.. المتوارية.

ربيع مصطفى



رفيق مجذوب - لبنان

خلال القنوات الإعلامية المختلفة».

## مستقبل الطب النفسي

أعربت دويدار عن تفاؤلها بما يحصّن مستقبل الطب النفسي في مصر، خصوصاً مع بدء انتشار بعض المناهج العلاجية الأكثر فعالية والتي تعتمد على الجلسات النفسية والعلاج الجمعي، كما تعطى أولوية للتأهيل النفسي للأطباء أنفسهم قبل تصديهم لعلاج المرضى، فيما أكدت على خصوصية الطبيب النفسي مقارنة بأقرانه من الأطباء، فبينما لا يعطل عمله على نحو بالغ نقص الأدوات وقلة الإمكانيات التي قد تعوق الجراح مثلاً، إلا أن ذلك يوقع بالعبء الأكبر على الطبيب النفسي ذاته، إذ يمثل هو بنفسه وبشخصه بؤرة عمله وعماد نجاحه.

بسمّة فؤاد

باحثة من مصر

عنها الفتاة عند اختيار شريك حياتها، وقد لاقت الحملة استجابة قوية بين الفتيات، وأوجدت لها انتشاراً كبيراً، بهذا الخصوص تقول دويدار: إن الدراما تمثل بالفعل سلاحاً هاماً وخطيراً في التوعية النفسية، ورغم المغالطات العلمية التي قد تتضمنها الأعمال الفنية، إلا أنه يمكن التفاوض عنها إذا نظرنا لقوة نفاذ وتأثير الرسائل المتضمنة في الأعمال الدرامية عالية المشاهدة بين الناس»، فيما يحذر السلوكية المقبولة والرفوضة عبر فيسبوك أو غيره، قد يؤدي إلى نبذ الأنشطة السلوكية التي تقاير القالب الرسوم، مما قد يشغل الأفراد بإصدار أحكام جاهزة على الناس والاستعلاء عليهم، وهي مشكلة اجتماعية في غاية الخطورة، لذلك فإن الأصوب أن تتم التوعية النفسية في المدرسة من قبل اخصاصي نفسي، وعبر المختصين من

## المراسلون في الصحافة الجزائرية:

## منحة العار

القانونية ثم التفرغ لمشاكل العاملين.

من دون تأمين ولا سكن

كثيراً ما يُدأول على أسنة النّاس أن يابكان الصحافي تحسين وضعه الاجتماعي بفضل شبكة العلاقات التي تنجحها له مهنته، إذ يتعامل مع مسؤولين وممثلي هيئات إدارية وحكومية، والانتفاع من وظيفته وإن حدود ما يسمح به القانون، بالاستفادة مثلاً من سكن بما أنه حق مكفول لكل مواطن جزائري تتوفر فيه الشروط القانونية للاستفادة. كما أنّ الصحافي والمراسل القانوني بإمكانه توسيع شبكة علاقاته مع السلطات المحلية بما يسمح له بحلّ مشكلاته.. وهذا ما يراه النّاس الذين يميل الكثير منهم إلى التحدّث إلى الصحافيين لإيصال مشاكلهم إلى السلطات.

غير أنه في الواقع، فالكثير من الصحافيين يعيشون وسط حالات اجتماعية قاسية، ما كشفته قصة نادية بوخلات التي اشتغلت بالصحافة المكتوبة لمدة 15 سنة كاملة، وهي تحتجّ أمام مقرّ هيئة وزارة العمل. فهي التحقت بجريدة صوت الغروب، المحلية التي تنشط بولاية وهران عاصمة الغرب الجزائري عام 2002 وكان راتبها الشهري 4000 دينار، وهو مبلغ لا يصل إلى مستوى الأجر القاعدي الذي حددته الحكومة للعامل 18 ألف دينار.

وتضيف الصحافية أنّها حرمت من السكن ولم تستدق من أي تأمين اجتماعي ومهني، ويحدث هذا في الوقت الذي تلوم فيه الحكومة

منذ إقرار التعددية الإعلامية أواخر ثمانينيات القرن الفائت، صار قطاع الصحافة المكتوبة بالجزائر يعاني حالة من الفوضى، إذ ساهم العديد من الناشئين والقائمين على إدارة الصحف المكتوبة في نشر الفوضى الهائلة، بزيادة توظيف الآلاف من الصحافيين والمراسلين غير النابتين، تدفع لهم أجوراً زهيدة لا تلي احتياجاتهم المادية ولا تضمن لهم الكرامة الاجتماعية، ويسمونها «منحة العار».

يقول مراسلون وصحافيون يعملون بالقطعة أو بعقود عمل مؤقتة في جرائد تنشط في العاصمة وفي مدينة وهران أنّ الراتب الشهري للمراسل الصحافي بجريدة وطنية لا يتعدى عشر آلاف دينار جزائري (أي أقلّ من مئة دولار أميركي)، وأما أجر الصحافي الثابت فيصل إلى حدود 60 ألف دينار، فيما لا يلتزم جل الجرائد المحلية بمواعيد تسديد رواتب المراسلين والصحافيين، والبعض منها يدفع للمراسل المحلي ما يشبه منحة شهرية تصل إلى حدود خمسة آلاف دينار..

ولا تتطرق نقابات الصحافيين النشطة بالبلد إلى ملفّ تسوية الوضعية الهائلة لهؤلاء إلا في مناسبات نادرة وبطريقة شكلية، وهي لا تلتقي بالوزارة الوصية - وزارة الاتصال - التي تفصل في ما يبدو الانتظار لتضمين سلطة ضبط الصحافة المكتوبة لمناقشة كل المسائل العالقة في القطاع ومن بينها انتخاب ممثلي هذه الهيئة الوطنية وتحديد صلاحياتها

## موريتانيا: ضرب الصحافة المكتوبة

## تعطيل للحريات

الإداري بتجميد الممارات السنة من الأوقية (28 مليون دولار تقريباً بالعملة الوطنية) التي كانت تحصل عليها على شكل اشتراكات وإعلانات يدخلها في مرحلة الإفلاس النهائي. وقد لاقت قضية احتجاب الصحف تجاوباً واسعاً من لدن الدوتين والغربيين، حيث انتقد الدون بايه سيداتي في ندوية تحت عنوان (صحف البيشمركة» ستصدر غداً)، امتناع عدد من الصحف الخاصة عن التجاوب مع قرار الاحتجاب، وقال «كثيراً ما تستخدم السلطة الأحزاب المجرية أو أحزاب الحقباء لإيهاء بأن أغلبية الأحزاب تدعم خياراتها ومواقفها، فعندما عارضت الأحزاب الوطنية انقلاب السادس من آب/ أغسطس 2008، الذي أوصل الرئيس الحالي للسلطة، بادرت هذه جميع حملة الحقباء الحزبية لنقول إن أغلبية الأحزاب تساند الانقلاب على الرئيس المنتخب. ويبدو أن السلطة قد قررت اليوم استخدام عناوين صحف البيشمركة التي لا تصدر مطلقاً، لتأكيد أن الصحف الورقية ستصدر».

ويؤكد رئيس رابطة الصحافيين أنّ نصف مليار أوقية فقط هو الذي تستخدم منه الصحف في موريتانيا، فيما تأخذ باقي المبلغ جة أخرى، وطالب بفتح تحقيق في الموضوع. وقد قاطعت النقابات الصحافية للجنة المكلفة بتوزيع الصندوق المخصص لدعم الصحافة، بعد إقدام الحكومة على الاتصال ببعض الصحافيين في محاولة لإغرائهم بدمجهم في اللجنة، واستغرقت ثمانين هيئات نقابية صحافية في بيان لها الخطوة ووضعتها بالمفاجأة، معتبرة أنها لا تنم عن استعداد لإصلاح القطاع ولا لتنظيمه ولا بالتعاون مع الفاعلين فيه.. وهي لعنا تخطط للتخلص بهذه الطريقة من صوت يؤرقها ويلاحق ارتكاباتها على الدوام.

المختار ولد محمد

صحافي من موريتانيا

ترجع عدد الصحف الورقية في موريتانيا إلى أقلّ من ثلاثين بعد أن كان يزيد على المئة صحيفة مطلع العام الماضي. وبلغ الأمر ذروته خلال النصف الأول من العام الجاري بعد استفحال الأزمة التي باتت تهدد الصحف الورقية وهي أزمة مالية خانقة يربطها الصحافيون الموريتانيون إلى غياب الدعم والإعانات. أضرب الصحافيون الموريتانيون فتحولت أكشاك الصحف في نواكشوط إلى سائط راحة بعد أن كانت ملتقى للثقفين والمثشرين ومراكز نشاط متواصل. وهم يتعبرون إضرابهم حلقة من سلسلة نشاطات يعزّمون القيام بها للفت أنظار الحكومة والرأي العام لمحتهم. وعلى الرغم من نجاح الإضراب سارعت الحكومة إلى دعم صحف غير جادة يصدر معظمها في المناسبات ويطلق عليها الموريتانيون صحافة «البشمركة»، كان ناشرو هذه الصحف قد رفضوا التجاوب مع قرار حجب الصدور الذي اتخذته ناشرو سائر الصحف، وأكد هؤلاء في بيان وزعوه أنّ الصحافة الورقية المستقلة في موريتانيا تمرّ حالياً بالظرف الصعب في تاريخها، رغم كونها أدت دور ريادة الصحافة الحرة في البلاد، وشاركت في جميع النضالات الديموقراطية منذ 1991، وتصدت لتحديات قوية متعددة، من المصادرة إلى الترحيم، إلى تحزّش رجال السياسة ولوبياتها، مصممة على الاستمرار في الوقوف في مواجهة انحراقات الأنظمة مهما كلف الثمن.. ويذكر البيان بأن هذه الصحافة قامت، وعلى الرغم من محدودية مواردها بدور مشهود في تعزيز دولة القانون ورقابة التعبير وكشف الفصائح وتنمية الديموقراطية. واليوم تتراجع البيعات، وتتقلص الاشتراكات، ويخفت سوق الإعلان، وتتردى الطباعة، ولا وجود لمؤسسة للتوزيع، وبالتالي تدهور المداخل مقابل التكاليف الباهظة.

وهم أوضحوا أنّ صندوق قوية الصحافة بصورته الحالية لا يمثل إلا جرعة خفيفة لجسم يعاني من إنهاك قوي، وأن القرار

محمد مرواني

باحث وكاتب صحافي من الجزائر

مليار دولار أهدرها البنك المركزي المصري من أجل دعم الجنيه، حسيماً أعلن الرئيس الأسبق للجمعية المصرية للاستثمار المباشر، يوم 29 تشرين الأول/ أكتوبر.

50

## جنوب السودان: دولة فاشلة أم نهج غربي فاشل؟

الدولة الجديدة التي حظيت بتعاطف ودعم غربي لا حدود له، لم تلبّ أشواق مواطنيها ولا سعت بصورة جادة إلى وضع الآمال التي علّقها عليها حلفاؤها موضع التنفيذ، وإنما انزلت سريعاً إلى مستنقع الفساد وانتهاك حقوق الإنسان، وأخيراً إلى حرب أهلية بين النخبة التي تولّت أمر الدولة الجديدة والوليدة. وكل ذلك في إطار صراع مصالح شخصية انحدر سريعاً ليتخذ له بعداً قديماً في مسعى لحشد التأييد والمساندة من كلّ طرف.

طبقت على جنوب السودان نسخة مستحدثة لفكرة «رسالة الرجل الأبيض التمديدية»، وتسييد النموذج الغربي في الحكم والمؤسسات والقيم بدون اعتبار للواقع المحلي. وجرى التركيز على سيادة أفكار «إطلاق حرية الأسواق» و«تقييد تدخل الدولة»، مع تغييب كامل للبعد الاقتصادي للديموقراطية وحقوق الإنسان، وقبول نصائح صندوق النقد الدولي.. الأمر الذي انتهى بفتح أبواب هذه الدولة أمام الشركات الغربية.

من الزمان على هذه المقاربة، فإن النتائج على الأرض لا تشير إلى نجاح تحول ديموقراطي سلمي من خلال تهايك عن عدم حدوث تطور يُذكر اقتصادياً واجتماعياً. فمن البداية اتضح مدى احترام أهل الخيار الليبرالي لل«جماهير» التي يتحدثون باسمها. فالقواضات كانت تجري دائماً في فنادق خمسة نجوم لا يمكن لأي شخص أن يدخلها، كما تتم الاستعانة ببعض الفئات والمجموعات أحياناً، لكن هناك سياج من السرية يكون مضرورياً على المفاوضات، ويتسرب منها ما يريد محرروها إيصاله إلى الناس. وأهم من ذلك - وهذا ما حدث في مفاوضات السلام السودانية نفسها - فهي لم تُعرض قط على الناس لإقرارها في استفتاء عام، كما أن أي قوة سياسية معارضة لم يُسمح لها بحوض الانتخابات ما لم تكن موافقة على الاتفاقية. ويرى يونغ أنه حان الوقت لراجعة هذا التوجه القائم على الاهتمام بالخبز وتغيب الناس عن مسائل الحرب والسلام والبناء الوطني، مع التركيز على حملة السلاح والخضاع التجريبية الماضية إلى النقد العلني. ولعل في تلميح الدعوات لوضع جنوب السودان تحت وصاية دولية لإدارة شؤون الدولة فيه وبناء مؤسساتها، مؤشر على تزايد القناعة بفشل نموذج المقاربة الليبرالية لحسم مشاكل جنوب السودان.

ويُفت النظر إلى أن هذه الدعوات المؤيدة للوصاية الدولية بدأت تستقطب ساسة من جنوب السودان مثل يافان أموم، الأمين العام السابق للحركة الشعبية والدكتور محمود محمداني الأكاديمي اليوغندي الذي شارك في بعض لجان تقييم ما يجري، وتسربت مذكرة أعدها للاتحاد الإفريقي يصف فيها اتفاقية السلام بالفشل ويدعو إلى استبعاد دول «منظمة الإيقاد» المجاورة من لعب أي دور في المستقبل السياسي والأمني لجنوب السودان. الذي ينبغي أن يوضع تحت وصاية مشتركة للاتحاد الإفريقي والأمم المتحدة.

### السر سيد أحمد

كاتب صحافي من السودان مختص بقضايا النفط

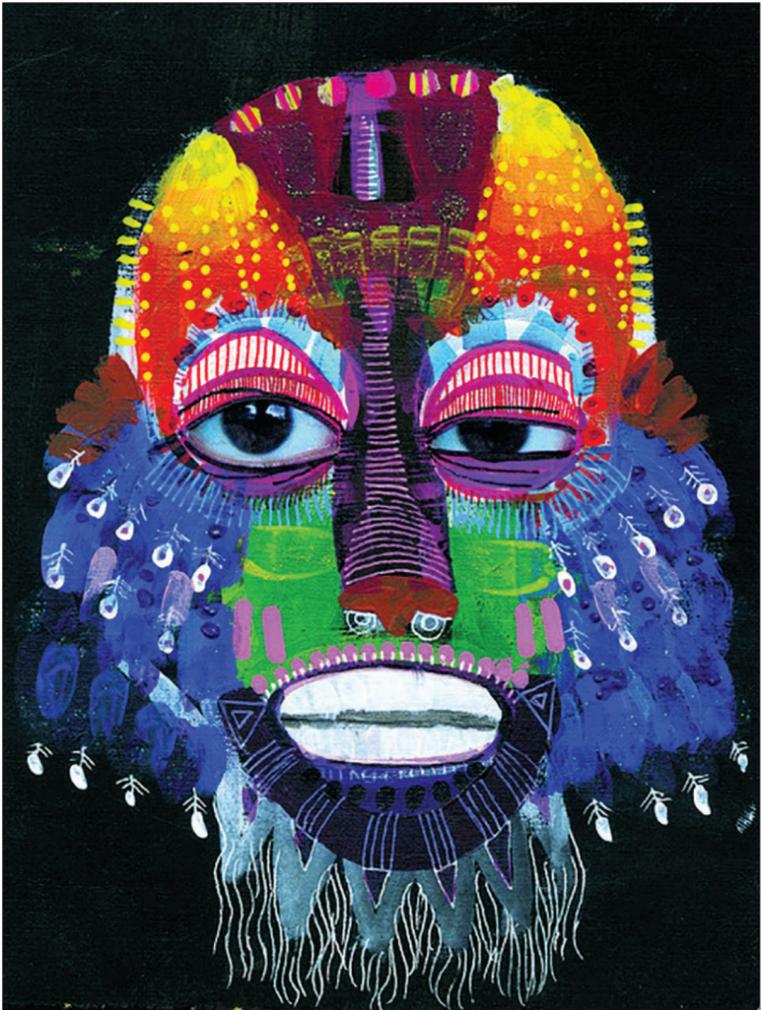
الدولي، وذلك لتحقيق ما يرغب فيه مواطنو جنوب السودان من إنجاز تحول ديموقراطي سلمي من خلال تفصيل لقضايا قسمة السلطة والثروة والترتيبات الأمنية، مع إيجاد وسيلة لإبعاد القيادات التي ضلعت في متاعب الأعراس السابقة وتأسيس محكمة مختلطة لمواجهة التعديلات التي حصلت، وأيضاً الاستعانة بالتجارب الماثلة لا كيفية إدارة الأموال العامة وإعادةها إلى خزينة الدولة.

### مراجعة جذرية

على أن هذا التوجه ليس كافياً في رأي آخرين مثل الباحث الكندي جون يونغ الذي قضى أكثر من عقدين من الزمان في السودان والدول المجاورة، باحثاً وعلماً في مختلف المواقع ومتابعياً للتطورات السياسية والدستورية في المنطقة. يونغ يرى أن الفشل الذريع الذي منيت به تجربة جنوب السودان لا يعود فقط إلى القيادات النعمة والفاصلة، وإنما قبل ذلك إلى المقاربة الغربية لفض النزاع في السودان من خلال الدفع بالأجندة الليبرالية التي تجاهلت الواقع السياسي والقبلي والاجتماعي المختلف، وكانت غايتها تسميد ضربات إلى النظام في الخرطوم، وبالتالي أعفت الحركة الشعبية من أي مسائلة وأعطتها المرتبة الأعلى أخلاقياً.

ويرى يونغ أن هذا الموقف ينطلق من فترة انهيار المعسكر الشرقي وسيادة مفهوم «نهاية التاريخ» وانتصار الخيار الديموقراطي الليبرالي بصيغته الغربية، وهي كما يرى نسخة مستحدثة لفكرة رسالة الرجل الأبيض التمديدية، وتسييد النموذج الغربي في الحكم والمؤسسات والقيم وبدون اعتبار للواقع المحلي. ولهذا يكون التركيز على سيادة أفكار إطلاق حرية الأسواق وتقييد تدخل الدولة، مع تغييب كامل للبعد الاقتصادي للديموقراطية وحقوق الإنسان وفتح الباب أمام نصائح صندوق النقد الدولي.. الأمر الذي ينتهي بفتح أبواب هذه الدول أمام الشركات الغربية، وذلك بأمل زرع النموذج الليبرالي الغربي في تربة دول العالم الثالث ومن بينها جنوب السودان.

لكن بعد مرور أكثر من ثلاثة عقود



دار النعيم مبارك - السودان

الدولة المختلفة، يتشارك فيه جميع قيادات جنوب السودان الحديثة والقبلية، وبدون إقصاء أحد إلا متعمداً في قضية معينة، ويضاف إليهم أيضاً زملأوه الأفرقة بدعم من المجتمع

مؤخراً أن الحديث عن فرض عقوبات يتناول عرض الأزمة، بينما المطلوب مواجهة جذورها والأسباب التي أدت إليها في المبدأ. وهو يرى أهمية اتباع منهج سياسي جديد لاستخلاص

على الأرض لم يجد الوسطاء وحتى واشنطن مفرأ من الاعتراف بها، لكنها لم تلغ السؤال الأساسي، وهو ما العمل؟ برندركاست أوضح في إفادات عدة

القيادات السياسية والعسكرية، وعلى رأسها الرئيس سلفا كير ونائبه السابق وخضمه الدكتور ريك مشار. التقرير حظي بدعم علني من وزارة الخارجية الأمريكية، لكن الأراء لا تزال متفاوتة، والتردد في إدارة كلينتون ونجح في ما بعد في ضم سوزان رايس مستشارة الأمن القومي الحالية ليبارك أوباما، كما نجح أيضاً في ضم النجم الهوليوودي جورج كلوني إليه، وكل ذلك بهدف مساعدة مواطني جنوب السودان بقيادة الحركة الشعبية على الانفصال وإقامة دولتهم المستقلة، على الرغم من أنه، في ذلك الوقت، كانت الحركة بقيادة مؤسسها الدكتور جون قرنق تدعو إلى السودان جديد موحد. ولتحقيق هذا الهدف، سخر أعضاء المجلس علاقاتهم خاصة وهم يتبادلون المناصب ما بين مراكز الأبحاث وتسمم مواقع تنفيذية في الإدارات المتعاقبة والعمل مع اللوبيات المختلفة من أفرقة أميركان ومسيحيين وتناشطيين في ميادين حقوق الإنسان.. لدفع قضية جنوب السودان إلى الأمام، وهو الجهد الذي توج بانفصال الجنوب وإقامة دولته المستقلة قبل خمس سنوات.

لكن الدولة الجديدة التي حظيت بتعاطف ودعم غربي لا حدود له، لم تلبّ أشواق مواطنيها ولا سعت بصورة جادة إلى وضع الآمال التي علّقها عليها حلفاؤها موضع التنفيذ، وإنما انزلت سريعاً إلى مستنقع الفساد وانتهاك حقوق الإنسان، وأخيراً إلى حرب أهلية بين النخبة التي تولّت أمر الدولة الجديدة والوليدة. وكل ذلك في إطار صراع مصالح شخصية انحدر سريعاً ليتخذ له بعداً قديماً في مسعى لحشد التأييد والمساندة من كلّ طرف.

### كشف المستور

برندركاست وكلوني قاما ببذل مجهود كبير خلال العامين الماضيين لإعداد تقرير مفصل حول عمليات الفساد ونهب الأموال العامة، يذكر للأسماء وكيفية تجيير هذه الأموال للمصالح الشخصية والصناعات الموجودة في المصارف الداخلية والخارجية، وكذلك الشقق والبيوت المشترأة. ويشمل التقرير معظم

## كيف أصبح صالح «عفاشاً» وهادي «دنبوعاً»

# التنازع بالألقاب: السياسة في أحط مراحلها باليمن

إلى جانب ما يعنيه اللقب في القاموس اللغوي العربي («من لا خير فيهم»)، مما يعني - من وجهة نظرهم - أنه غير مؤهل ليكون رئيس جمهورية. ولقيلون هم الذين قرأوا هذا التطور الخطير في مسيرة الثورة، وحاولوا تصويبه، بينما انخرط الجميع في الحفلة، بدافع من آلة إعلامية منفصلة وبخطاب واحد وتخوييني. صالح من جانبه، حاول في مقابلات صحافية أن يصحح «خطأ» إلتمائته لعائلة فلاحية فقيرة، بقوله: عفاش كان شجاعاً وما لم تكن الثورة تتحوّل له، في دوامة الصراع تلك، أن السلاية الهاشمية كانت تعيد تشكيل صفوفها من خلال الحوثيين الذين كانوا جزءاً لا يتجزأ من مسيرة إسقاط النظام، ولذا استغلوا العشائرية التي اعترت المرحلة الانتقالية لإنتساب أطفارهم.

«الدنبوع» نصيب سلطة ما بعد الثورة بعد أن سلم صالح السلطة لثانيه «عبد ربه منصور هادي» في بداية العام 2012، وضعت السلطة السابقة لقب عائلة الرئيس الجديد (الدنبوع)، واسم قريته («الوضيع») على الرف. وبعد ثلاث سنوات، احتاجت الثورة المضادة المتشكلة من سلطة صالح والحوثيين للقب للاستدلال على أن الرجل غير مؤهل للحكم، فاستخدموا اسمي «الدنبوع» و «الوضيع» للخط من قيمته.. في الوقت الذي لجأت عائلات شمالية كثيرة لإعادة ألقابها الهاشمية، وربما التفاخر بها. بعد أن خيأتها ما يقارب نصف قرن - طمعاً في التعيينات الجديدة في مفاصل الدولة التي اعتمدتها سلطة الأمر الواقع بصنعاء.

### ريان الشيباني

كاتب وفنان تشكيلي من اليمن

يمكن الاستعانة به في نظام الحوكمة القبلية. ومع أنه لا يمكن إنكار أن صالح تدرج باستخدامه لإسم قرية «الأحمر» كلقب له، إلا أن التورية هنا جعلت دلالاته مختلفة كلية.

وصلت الرسالة يشكلها الصحيح. كان الشيخ الأحمر قد غادر البلاد في رحلة علاجية إلى السعودية. ومع أنه صمت حتى قبل انتهاء الدعاية الانتخابية بيوم، ثم أعلن أن مرشحه للرئاسة هو صالح، معللاً ذلك بالقول «جئني تعرفه ولا أنسى ما تعرفوش»، ومن بين كثيرين خذلهم هذا التصريح، كان حزب الإصلاح الذي يرأسه الأحمر. وكان الحزب قد أقام مهرجاناً كبيراً مناهضاً لصالح في معقل الشيخ الأحمر، وأمل أن يتم استئثار صمت الرجل لترجيح كفة مرشح المعارضة. وفي النهاية أعطى اللقب أكله، وفاز صالح.

### عفاش: خبيثة النيل من صالح

توفي الشيخ الأحمر بعد انتخابات العام 2006 مباشرة، ويعزو الكثيرون لحكمته إبقاء مستوى الصراع داخل السلطة التي كان جزءاً منها، عند الحد الأمن. وفي العام 2011 قامت الثورة الشبابية، فانقرض العقد. انضم أنجال الشيخ الأحمر الأثرياء وحليفهم العسكري إلى «ساحة التغيير»، معتقدين أنهم بذلك يحافظون على مواقعهم في السلطة المقبلة، صالح، والذي كان قد تلقى من الشيخ الأحمر وصية أخيرة بأن يعتبر أنجاله بمقابلة أولاده، لم يصمد أمام أول هجماتهم للنيل منه.

أشاع النضمون الجدد للثورة اسماً جديداً لصالح: «عفاش»، وهو اللقب العائلي الخبيء للرئيس آنذاك، واعتبروه مثلية حان الوقت لعرفتها. أدخل الثوار الغاضبون اللفظة الغربية إلى هتافاتهم، مستغلين ما تحدثه من إيقاع صوتي ووشوشة: لا أحمد ولا عفاش، عاش الشعب اليمني عاش. كان الغزى واضحاً، أراد التحالف الثوري القول إن صالح لم يكن من سلالة مشيخية، وقد يحيل اللقب إلى كون الرجل أتياً من عائلة فقيرة،

التشريعية والتنفيذية، ويديرون القرار ويستفردون بامتيازات وجودهم في القرار.

### الأحمر، لقب توسل السلطة

حظي نظام صالح برعاية الشيخ القبلي النافذ، رئيس مجلس النواب السابق عبد الله بن حسين الأحمر. وهو ينتمي إلى وسط قبلي مشيخي، وكان قد استنمر مسألة التضحية التي قدمها والده وأخوه في صراعم مع أسرة حميد الدين (العائلة المالكة آنذاك)، إذ قتل وحبس عبد الله وكان يافعاً. ليعتبر السلطة استنماره الحصري السهل، ولذا كوّن فرقة اعتبرت الأكبر بين العائلات التجارية التسع التي حكمت البلاد، وإلى جانب ذلك ظل الأحمر محتفظاً بصلاحيات وجوده كسياسي وقبلي ورجل أعمال حتى آخر لحظة من حياته.

وإلى وقت قريب، طن الجميع أن الأحمر، وعبد الله الأحمر تربطها صلة قرابة، ويحدران من قرية واحدة. لكن صالح أتى من منطقة ستحان شرق صنعاء، فيما ينتمي الشيخ الأحمر إلى منطقة ظلمية حيوير بمحافظة عمران. لكن كان هناك تواطؤ بينهما لإظهار صلة قرابة، لإخفاء ما بدا أنه نقيصة شابت أهلية تسلم صالح للسلطة، بعد أن أوجت إليه النخبة القبلية الحاكمة، بأن السلاية القائمة على نظام المشيخة المال هي الامتياز الوحيد للسيطرة والنفوذ.

في الانتخابات الرئاسية الأخيرة لصالح 2006، خشي النظام من أن يؤدي تدهور علاقته بحليفه القبلي لخسارة الانتخابات، بعد حديث الشيخ الأحمر عن أن البلد دخلت نفقاً مظلماً بسبب السياسات القائمة، إلى جانب تصريحات حميد الأحمر نجل الشيخ عبد الله الأحمر مناهضة لانتخاب صالح، ولذا لجأ إلى حيلة لإعادة ترميم هذه العلاقة. عمد صالح إلى إضافة لقب «الأحمر» إلى آخر اسمه على لوحات الدعاية الانتخابية، في العرف القبلي يأخذ الأمر منحى شخصياً إذا، ونصرة المستجير شيء لا

بعد حرب ما عرّف بحصار السبعين يوماً بين العام 1967 والعام 1968، انتهت كل فرض الحكم بالسلالة بإقصاء أسرة حميد الدين، بينما نشأت عصبويات جديدة شكلت هوية الجمهورية اليمنية الأولى.

هيم القادة العسكريون المنتصرون في فك الحصار عن صنعاء على غيرهم من العائلات والأسر التي استحوذت على السلطة. ومع نهاية السبعينيات انتقل الحكم إلى شبكة معقدة من المصالح القبلية والعسكرية، احتواها حزب المؤتمر الشعبي، الحاكم، بعد السماح الشكلي للتعديدية الحزبية بالظهور.

### سلاية «الزلط» الحاكمة

يطلق اليمنيون على العملة النقدية «الزلط»، وهي تسمية تحويرية للعملة اليهودية التي كانت سائدة في تاريخ ما: الزلوتي، وتهكمًا، يدعو فقراء اليمن، التجار ومالكي رؤوس الأموال، بأصحاب الزلط. نظام الرئيس السابق عبد علي الله صالح (1979-2012) كان قد وجد في هؤلاء ضالته لبناء تحالفات قوية، هي القوام الكامل لسلطة استمرت 33 سنة. وهكذا أضمحل قليلا دور السلالة الهاشمية السياسية، والتي كانت حتى العام 1962 تحتكر نظام الحكم في البلد منذ ما يقارب 900 عام. ساهم في هذا التطور عدم انتهاء صالح لعائلة هاشمية، وكان قدومه إلى السلطة بسبب من نفوذه داخل الجيش، وبدعم من عمقه القبلي. المؤرخ والشاعر الكبير عبد الله البردوني، الذي ظل يعرف مدى حياته بالتمرد والنشق، قال إن ميزة صالح الوحيدة هي كونه أتى من وسط فلاح. ومع أن كثيرين شككوا في صحة مديح البردوني لصالح، معتقدين أن كتاب «الثورة والجمهورية» تعرض للتحريف، إلا أن صالح فرط، هو الآخر، في الخبز الوحيدة لنظام حكمه.

ابتعدت أجندة صالح للحكم عن الطبقات الشعبية، وأحاطت به مجموعة قليلة ممن يرون أنهم متميزون، ظلوا يمثلون الهيئة

حالة تعذيب وسوء معاملة، 5 حالات وفاة في أماكن الاحتجاز وحالات قتل، 28 حالة إهمال طبي في أماكن الاحتجاز، 113 حالة اختفاء قسري، 13 حالة ظهور بعد اختفاء، و14 حالة عنف دولة.. حصيلة انتهاكات شهر أيلول/سبتمبر 2016 في مصر، حسب تقرير مركز «النديم لتأهيل ضحايا العنف والتعذيب»، الذي صدر في شهر تشرين الأول/أكتوبر.

جميل ملاعب / لبنان

حلم..



فنجان القهوة، «لا تصفر»، أحضر صحن فواكه بطريقك. بعد عودته من حبس «الهيئة الشرعية» كان أبو أحمد قد أهين وصُغّر لدرجة أنه امتنع عن الكلام وعن الحركة. تشهد عليه زاوية الغرفة التي تحصن بها وعينه الكسيرة وعبرات تخرج رغماً عنه على وقع القصف المستمر فوق تلك البقعة المنكوبة. عيوش في البيت والخيز بلا زيتاً لم تعد تستطيع العبور من حلب الشرقية إلى الغربية لتطبخ هناك، وما يدخل من مواد شحيحة إلى حلب الشرقية لا يفتح في إنتاج طبخة ما رغم سعة حيلتها. يا لشوق اليبدين إلى الطبخ، إلى الخضار وألوانها وأحجامها وسوانلها وطبايعها، إنه أشد حرقاً من احتياج الجسم إلى الطعام. امرأة كانت تضي حياتها في الطبخ، مدينة كانت تأكل وتستهلك وتعلم بسخاء يفوق حاجتها، من يصدق أن تجوع حلب؟

نجحت عيوش في تدبّر أمر خبطة ابنتها البكر لشاب نجا من يؤس حلب الشرقية ووصل إلى مخيمات الأردن، وها هي تجلس كل يوم بجانب زوجها تبته الأخبار والأمال المعلقة على إتمام هذا الزواج. وكلما قرصم الجوع نادت على ابنتها: أحضري الدفتر يا علا اكتبي طريقة طبخ النوع العاشر من الكبة (هناك نحو ستين صنفاً من الكبة الحلبية)، ضعي ملاحظة: سرّ البامياء في دبس الزمان كما يكمن سحر الملوخية في فن التحميص، افتحي صفحة الحاشي أضيفي طريقة صنع محشي العجور بالفريكة.. أمامنا صفحة المعجنات، ركزي على «عش الليل» هذا مذلل وفريد عصره، إلى المخللات افردى صفحة لخلل الخس.. أسرعي يا ابنتي لا تعرف في أي لحظة يفتح الطريق ويأتون لاصطحابك إلى زوجك.

علا تخبر أمها عن حلمها بشراب اللوز وعن هرج ومرج وأناس مجتمعين، تنعش الذكرى روح عيوش المنكبة، بخاصة أن الأخبار تتحدث عن هدنة وعن فك حصار التجويع.. وتأخذها وعود شراب اللوز إلى أن تصدح بأهزوجة حلبية قديمة: «أوبها ولأروح لباش حلب وأقلو.. فرحة عروستنا وعريسنا بتسوى عسكري كلو»

عيوش هي روح حلب المكافحة المنشحة الوثابة، وحلب هي المدينة العيوش، مدينة المتع الحسية وفن العيش في قلب الحياة المتخمة بالعانة والتناقضات وويلات الحرب.

ضحى عاشور

كاتبة من سوريا

## وعود شراب اللوز الحلبي

إلى حلب الغربية، حيث نساء (مثلاً) لم يعتدن على تحريك أيديهن، يستعن بها في شؤون الطبخ ويكتفين بتعليمها وإرشادها وتوجيهها إلى أصناف جديدة وخلطات لم يسبق أن سمعت بها. وفي طريق عودتها تمر على «باب جنين» حيث الخضار أوفر وأرخص، تحمل ما يفوق طاقة جسدها فيحنني وتزداد قصراً وتمتراً دون أن تكتثر، فهي تسارع الوقت لتصل وتطبخ لبناتها الخمس وزوجها الذي يعود عند مغيب الشمس. إنها أسعد أوقاتنا عندما تعرض أمامهم ابتكاراتها في أطباق مختلفة من الكوسا أو القرع. وتحصل على وسام الرضا حين تفرغ الصحون على وقع نداء رجليها: «الله، سفره للنظر!» مطرباً ذوقها ولسانها وطيب نفسها في الطبخ.

ثمة إطرأ آخر كانت تتشوقه كقصيدة عشق فريدة، عندما كان يشكر نعمة وجودها مخاطباً بناته: «اللي أمه بالبيت خبزته مدهونة بزيت». لا أحد يستطيع الجزم بما إن كانت عيوش تعرف القراءة والكتابة أم لا، فلا شيء يشير إلى دخولها المدرسة، ومع ذلك كانت تضع كتاب كل واحدة من بناتها إلى جانبها وهي تجهز طعاماً أو تخطط شيئاً، وتطلب منها أن تقرأ أو تتلو ما حفظت دون تساهل، تفتح دفاترهم ولا تطيق أي عيب في الورقة، تحمي وتمزق وتجبرهن على إعادة: من المعب أن يكون دفتر ابنة عيوش على هذا الشكل! وكيف لا؟ ففي بيت عيوش لا شيء يهمل، جرة الغاز لها ثوبها المزركش ورفوف البراد لها أظفيها المرطزة وصينية القهوة لا تصل الضيف إلا بكامل زينتها.

في مكان آخر، كانت ستنتهي قصة عيوش هنا. لكن للجغرافيا قيود أخرى إضافية، ليس سهلاً أن تكون المرأة ابنة الشرق فما بالك بشرق الشرق! وعيوش ابنة حلب الشرقية، المنطقة التي تتعرض للدمار منذ سنوات ثلاث، تقصف وتجوّع ويروغ أهلها ويموتون. ما اضطرها وغيرها من العائلات إلى الزواج مرة بعد أخرى إلى الأحياء المجاورة لهم، والتي بدورها تتعرض للقصف والتجويع. وهل يمكن أن تبقى عيوش أديها مكتوفة؟! هي أول من يسرع لنجدة الأطفال وإغاثة المنكوبين وتضميد جراح المصابين، وهي من تحبز بعد أن قُصف القرن الألي في مجزرة رهيبية. ولكن ذلك لم يشفع لزوجها الذي ضيبت (إثر وشاية) وهو يدخن ويرقص معها في بيتهما على أنغام أغاني «أديب الدايع».

في زمن مضى، كان زوجها الملقب بـ «أبو أحمد» رغم أنه لم ينجب صبياً، يخطب وذ عيوش عبر تدليلها: ارتاحي وتستتي وأنا سأخدمك بعيوني، فتخجل أن تطلب شيئاً دون أن ترفقه بكلمة: «لا تهون» ناولتي

حسناً فعلوا أهلها حين أسموها عيوش. ومن مثلاً كافح ليعيش رغم المرض والفقر والظلم وقلة الحظ من الجمال والعلم والرياعة، ومن غيرها ملك الرضا والمصبر حتى نال!

عيوش الحلبية السمراء (يصفونها في حلب العنصرية تجاه ألوان البشرة بالسوداء)، ويتندرون على ضالة حجبها وخلوه من التورات «اللحام الشاطر لا يستطيع أن يشف منها كيلو لحم»، «قفة (سلّة) عظام اللحم عافينا».. هذا تصنيف القربيات قبل الغربية.

عين واحدة أنصفتها وحتمتها من شرور العالم، عين ابن عمها الذي بالغل لم يكن له سوى عين واحدة تبصر والأخرى مظلمة، أرادها ولم تزده معارضة الأهل إلا طلباً، فصار له زوجة وحبيبة، لم يكن بينهما قصة عشق، لا غزل ولا شعر، لا سحر ولا أحلام. لكن عندما تغضب عيوش عينيها الواسعتين وتقول معدوية ندية «أنا دخلت دنيا، الله يطعمها لكل محب»، تشعر كما لو أن حلاوة القدود الحلبية تتوغل في أوصلك كلها، فخوراً بفاريسها «بياع السحلب» الذي يعرف الدنيا ومفاتها وهي تقصد جولته في قلب حلب التي جلب منها مفاجأة العرس: شراب اللوز.

يجري العالم كله عداة تقديم العصائر والمشروبات في الأفراح والأعراس، ولم تكن العروس في بلداننا تحلم بأفخر من «الشربات» المصرية التي شاع شفاطها مزينة بدانتيل يحاكي فستان العروس وأحلامها المعلقة فوق الغيوم.

– إيه، «شي بيقرّف القلب» أي يذّيبه امتلاء ونشوة، هكذا تستعيد عيوش لحظة حياتها الفارقة. لا تستطيع أن تتخيل يدي عيوش وهما هادئتان. على العكس يلزمك أن تفترض أن عشرات الأيدي تكاتفت دون كلل لتنجز ما تقوم به هذه المرأة يومياً. ما دام الحليب يصل إلى البيت لأجل «السحلب» الذي يبيعه الزوج، فقد أقنعت بتجويع بضاعته وأخذت تصنيع الششطة لأجل «الكنافة بخارين» شتاءً، و «البيطلية» مع البوظة صيفاً، معاً يجهزان مستلزمات عربية السحلب، تودع على الباب وتعود لتهمته بناتها إلى المدارس وترتيب البيت، تركض لتأخذ الباصات

arabi.assafir.com

الزيد على موقع «السفير العربي»  
– مغرب الورقة: الإصطفاء الطبيعي لا يحصل – محمد الناجي  
– من نهر الميسيسيبي حتى جبل صبر في اليمن – سارة جمال  
– تابعونا على «فيسبوك»: السفير العربي – Assafir Arabi  
– تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

واحة «جمّنة» في تونس، الشهيرة بنخيلها، كانت ملكاً للفلاحين ثم تملكها الدولة، توجرها للمتنفذين من جماعتها، إلى أن عاد أصحاب الرزق لينظمو أنفسهم معاً ويأخذوا على عاتقهم تسييرها ذاتياً وبيع محصولها بأنفسهم: تجربة أثارت تضامناً واسعاً، وأفعالاً مساندة عملية كالتداعي لجني المحصول.. أضانا على القضية في «السفير العربي» من خلال مقالة «تجارب تسيير ذاتي في قلب الصحراء» (26 – 10 – 2016) / رامي عبد المولى، ومن خلال ملف متابعة «تضامناً مع تجربة التسيير الذاتي بواحة جمّنة»، نضيف إليها الفتاة إلى أصوات متفرقة متضامنة، في مدونات هذا الأسبوع من تونس.



(من صفحة «جمعية نخلة»، عن فيسبوك)

توضيب البلح في جمّنة



جمعية عمومية للمواطنين والجمعيات المدنية في جمّنة

## واحة جمّنة: «الكرامة في عراجينها»

.. بألف كلمة

### جمّنة لنا

جمّنة، «الكرامة في عراجينها»، لا يمكن إلا أن نعشق جمّنة ونكتب عنها. جمّنة بتشديد الميم، ليست الأرض، والعمل، والعمر وستيل، والدولة والقانون، والحق والأهالي، بل جمّنة كل ذلك، لكنها أكبر من ذلك أيضاً جمّنة هي سدّ السعدي الذي اكتمل لكنه بابى القصور والنقصان، ملحمة عشق خالدة للكرامة في عراجينها! سواعد تعشق العمل، مجتمع متكاتف متآلف، يحيا البساطة والعزة.

كيف لجمّنة أن لا تنجح والإنسان على فطرتة، والعلاقات بين الناس يحكمها الموقف والكلمة؟  
أيام من يتشبث بالأرض أم يلام من يفرط فيها؟  
على من ينحاز إلى غير الوطن أن يجرب العيش في جمّنة، ليعرف قيمة الأرض! الكرامة، عفاف وتعفف، أي الملاحم أعتى وأبلغ في تصوير قيمة الأرض والعمل وجب الوطن؟

قال أهالي جمّنة إن الأرض لنا لن نسلم في شبر منها، فجاء قولهم بإسميتنا يضعو في القلب!

من صفحة Souad Seddiki (عن فيسبوك)

### عن الفاسدين وإنقاذ البلاد وجمّنة النموذج

انتهت بنة محصول الدقلة في جمّنة، بيع المحصول بمبلغ 1 مليار و700 مليون. بينما المحصول نفسه كان يباع بـ16 مليوناً لاثنتين من الخواص أي بـ1 في المئة من القيمة الأصلية للصابية!! هنتشير جمّنة تم تسويغه بالعامية مكري لاثنتين من الخواص: زوّج عباد توانسة فوق رأسهم ريشة على خاطر يشري في محصول بواحد في 100 من قيمته منذ التسعينيات!!

إيه نعم لعشرات السنين.. والفرق بين المبلغين فين يميش؟ البقية تتوزع بين سلسلة من الفاسدين والمتمعشين من المال العام ذوي البطون الكبيرة التي التهمت الأخضر واليابس وإلى اليوم أصبحوا بارونات الفساد اللي يحاربو في أي محاولة لتغيير هذا الواقع اللي هو سبب من أسباب إفلاس الدولة وانعدام مواردها.. ما كان يحصل في جمّنة يحصل في كل الصنقات التي تقوم بها الدولة وفي كل المجالات. والمتمعشين أصبحوا متخصصين كل واحد عندو secteur خاص بيه لا يزاومه فيه أحد: متاع لبنان ومتاع البرتقال ومتاع الزيت و و و...

ومن بعد يخرجون علينا في المتابر يتحدّثون عن بناء الدولة العصرية وعن الدور العام الذي تلعبه الإدارة؛ ويطالبون بالرجوع إلى ما قبل 2011! إذا نخبو ننقدو ما نستطيع إنقاذه للبلاد فلن يتحقق ذلك إلا بمحاربة الفساد وبمحاسبة الفاسدين وإلا فلن يستقيم لنا حال.

من صفحة Sonia Zakraoui (عن فيسبوك)

### مدونات

#### بعد جمّنة التمور، انتفاضة زيتون؟

بعد جمّنة والكرامة في عراجينها، ننظر النظر في هنتشير «البارون» بحفوز المستعمر منذ 35 سنة والذي يحتوي قرابة 100 ألف شجرة زيتون ويستقله «شهاب سلامة»، أحد فروش الزيت النباتي في تونس، بل أكبرهم منذ أكثر من 20 سنة بمبلغ زهيد جداً (6 ملايين) مع العلم أن متوسط الصابية السنوية يقدر بـ10 مليارات، ومع استنزافه للثروة المائية بالجهة وعدم تشغيل العاطلين فيها..

هذا إلى جانب هنتشير منزل المهيري الذي يحتوي على 12 ألف شجرة زيتون طاوله وعدد 2 «صنداج»، وكذلك يستغلّ من قبل أحد الحيتان بمبالغ زهيدة وشباب الجهة لا يتمتعون بشيء غير البطالة والحرسة..

هذا علاوة على ضرورة إعادة النظر في هذا القطاع برمتّه، بداية من تسعير الزيتون قبل الجني إلى احتكار هوامير العصر لهذا القطاع إلى تسعير الزيت للمواطن وبالأخص الانتفاقيات الدولية التي تفرط في هذه الثروة الطبيعية لدول أجنبية بأبخس الأثمان في صفقات مشبوهة.

من صفحة Ali Tahrri (عن فيسبوك)